

أعدادها لنسائتيك / مجلات الموض ؟ / لا أصدق ؟ / أحقا تلبت زوجك زعيما وهدى / وبنى لك زوجك معلمات ، / يا بلادي ؟

أحقا غفك باجلال / من كان بحرقة غفك / وحقا حدود الخيل / وساقها بنوك لبعيد المراعي / وما تمنحت فاما لقمم / وفتحته لصهيل كترنيم ماذن ؟ / لا أصدق / لا أصدق يا بلادي .

لا لائك شخت : / ففي اغرار الذوائب وقار / وللتجاعيد فعل تصر عنه الغضوض . / ولا لائك انزويت : / لو أنك اذ تحت الاضواء منك / احتضنت المعاهد / او افتتحت المياتم او جمعت التبرعات . / لا يا بلادي : / وكنت اذا لاهواك / واغني جمالا يتدرج وما يزول ، / وكنت اذا أزورك / وأحرم اذا أزور .

لكنك تكالت مع المشيب بالهوان / ونفضت عنك ذكرى زوجك والشباب / كأنها غبار على جسمك المعفر . / لكلك أخصيت بنيك / ورأيتم طاطاوا الرأس لذكراك . / وترغفت مع هذا وذاك من منحرفي الميول / (وكيف أصدق ما يقال عن ماضيك / يا بلادي / أنا الذي رأيت بيتك وأضواءه الخافتة ؟) / واما أشاح عنك العاشقون / قودت لبناتك / يا بلادي / يا بلادي .

علق توفيق امالا كبارا على امته العربية من المحيط الى الخليج . لكنه تألم وحزن لما رأى القيادة لا تتخذ الخطوات التي اعتبرها الخطوات الصحيحة المؤدية الى تحسين مصر الجماهير . كما أجزنه ايضا ان يرى الجماهير ، وقد فقدت ارادتها تقريبا ، لقد كان توفيق ليبراليا ومفكرا متمردا في وطن رآه يتجه نحو فرض القيود من شتى الأنواع ونحو القبول بقيم اعتقد انها تثقي على حالة التخلف . لكنه لم يكن سياسيا ولم يحب السياسة . فهو يقول في القصيدة السادسة والعشرين من مجموعته «ثلاثون قصيدة»:

«رحماك زعيبي !» / وقيلت اسفل القضبان . / ورماني بضحكة وقال : «غن ، أكرس القضبان» . / وتنحنت ، أستجر النديب / أستجر الرجاء . / وغنيت وغنيت ، / وتراقص الصوت / ولم توقع له حنجرة ، / وغنيت وطيبيت لي . / وانتهى الي صوت بعيد : / «كنى !» / قلت : «ابتعد ايها الشيطان» . / والح : «جنت بالطرقة» ، / قلت : «بلى ، ولكن / لست ارى القضبان» .

وهكذا يجد توفيق الحرية في الشعر تلك الحرية التي يرى ان مجتمعه يفتقد اليها . ومن خلال الشعر يأمل ان يحول بني قومه ، لا من خلال السياسة . ولقد كان التوجه الرئيسي لمجلته «حوار» لدى عودته الى الشرق الاوسط في العام ١٩٦٢ بعد غياب دام سنوات في اميركه وبريطانيه هو خلق مناخ للمناقشة والحرية الفكرية . ولذلك سميت «حوار» . وفي الافتتاحية الوحيدة التي كتبها لمجلة «حوار» قال :

ونحن نؤمن ان المثقف العربي ، كاتبنا كان أو شارحا ، فنانا أو أدبيا أو مفكرا ، لا يعيش كما ينبغي ان يعيش الا ان تيسر له مناخ الحرية ، شأنه بذلك شأن المثقف في أي بلد آخر . ونؤمن ان المثقف في تعطش دائم الى مزيد من هذه الحرية ، اللازمة له أكثر من لزومها لاي سواه من أفراد المجتمع ، وان مجتمعات العصر الحديث لم تحقق في مجالات الحرية ما حققته في مجالات العلم والتقدم والحضارة .

لذا فان «حوار» ستعنى عناية خاصة بقضايا الحريات ، وعلى رأسها حرية الثقافة ، حرية التفكير والتعبير والقول والقراءة ، في العالم كله . ستدعو اليها ، وتنبه لها ، وتدافع عنها ، وتقيم المذاهب والنظم على أساس تبني هذه للحريات او تنكرها لها .

لقد حقق توفيق في أثناء اصداره مجلة «حوار» المثل التي أعلن عنها في تلك الافتتاحية ولكنه ما لبث ان اصيب بخيبة أمل ومرارة أدت في النهاية الى اغلاق «حوار» . وفي تصائد الحب «ايضا وايضا» التي حملها آخر اعداد «حوار» مقطوعة يعبر فيها عن حبه للوطن بعد مرارته وخيبة امله ورفضه بقوله(٧):

في سني النفي / أنستني النفي ، / ساعة ساعتين في النهار ، / حنفة من تراب / رافقتني بجوالي / غير ذات تمل . / بعدت عن ارضي / حملت ارضي الي . / داعبتها لاعتبتها / كحبيبة كمسحبة . / حمتني شددتني / شدتني للارض ، ارضي ، / علمت قدمي التقدم للوراء .